



# قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



عمر بن عبد العزيز- الخليفة الراشد



# المحتويات

3	مقدمة.....
4	الحكاية من البداية:.....
6	مولد عمر ونشأته.....
8	الله يدبر لعمر بن عبد العزيز.....
10	عمر مع سليمان بن عبد الملك.....
12	استخلاف عمر.....
13	طراز جديد من الخلفاء.....
15	العدل أساس الملك.....
17	مذهب عمر في التغيير.....
20	عمر مع زوجته فاطمة.....
23	من صفات عمر خليفة المسلمين.....
26	بركات الحكم الرشيد.....
27	نهاية الحكاية.....
27	كلمة أخيرة.....

كثيرا ما مر بي هذا السؤال: هل يمكن للإنسان أن يتغير تغيرا كليا في كل نواحي حياته التي اعتاد عليها؟ أو هل يمكن لبلد مثل بلدنا مثلا أن يتغير حاله خلال سنوات معدودات؟.. أم أن هذا محض خيال؟ لكنني وجدت إجابة فريدة في سيرة عمر بن عبد العزيز.. تجيب عن هذين السؤالين..

**وهاكم الحكاية من النهاية:** دخل رجل على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك فقال: " يا أمير المؤمنين إن أباك عبد الملك كان قد منحني أرضا فجاء أخوك الوليد، فأقره ثم أخوك سليمان فأقره، ثم جاء عمر بن العزيز "رحمه الله" فنزعها مني، فهل لك أن تردّها علي؟ فقال هشام: أعد ما قلت، فذكر الرجل ما قاله نسا دون تغيير.. فنظر إليه هشام مغضبا، وقال:

**ترحم على من نزعها منك، ولا تترحم على من منحك**

**إياها!!.. اذهب فقد أمضينا ما فعله عمر رحمه الله!!"**

إن الشخصيات العظيمة تفرض احترامها وحبها على الجميع حتى على أولئك الذين ربما يتضررون بسببهم، فهذا الرجل نزع عمر منه أرضا كانت أعطيت له من خلفاء سابقين، ولكنه وهو يقص القصة لم يملك سوى أن يقول "رحمه الله" حين نكر عمر الذي نزع الأرض منه، ولم يستطع أن يترحم على من أعطاهها له.

## الحكاية من البداية

قد خرج عمر بن الخطاب بالليل يتفقد أحوال الناس، وبينما هو يسير إذ سمع حديثاً مثيراً بين أم تحرض ابنتها على غش اللبن، وتقول: يا بنية أمذقي اللبن بالماء، أي اخطليه بالماء كي يزيد حجمه فنبيع أكثر، فترد البنت: كيف أمذق وقد نهى عمر عن المذق.. فقالت الأم: يا بنية: الناس يمدقون وأمير المؤمنين لا يرانا.. قالت البنت:

**إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا!!**

فتسمر عمر مكانه من روعة وجلال الموقف.. ما أروع هذه الفتاة، إنها جديرة أن تكون أما لعظيم مثلها.. إن الفتاة التي تراقب الله في السر كما في العلن هي الفتاة التي يجب أن يحرص على مثلها الراغبون في الزواج الصالح...

صلي عمر الفجر، ثم أمر ابنه عاصماً أن يتحرى عن أهل هذا البيت فإذا هي أم وابنتها، والبنت لم تتزوج بعد.. فحثه عمر علي الزواج منها، فلعل ثمرة هذا الزواج أن يكون ذلك الأشج الذي رآه عمر يوماً في منامه وقيل له:

**” إنه من ولدك وإنه سيملاً الأرض عدلاً ”**

وبالفعل تزوج ابن أمير المؤمنين بنت بائعة اللبن..

وكانت ثمرة هذا الزواج المبارك بنتا سماها ليلي.. فلما انتقلت الخلافة من المدينة إلى الشام بويح معاوية وبويح من بعده ليزيد بن معاوية، ثم معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم الذي جعل الخلافة من بعده لابنه عبد الملك بن مروان، ثم لابنه عبد العزيز بن مروان.

كان عبد العزيز بن مروان قد نشأ بالمدينة وتعلم في رحاب مسجد رسول الله وتأثر بصحابته، فلما بلغ مبلغ الرجال تزوج من حفيدة عمر بن الخطاب ليلي بنت عاصم بن عمر (والتي كانت أمها هي بنت بائعة اللبن).. ولعله طمع أن يكون الأشج في رؤيا عمر بن الخطاب هو ولده فيأتي للأمة بعمر آخر مثل ابن الخطاب، وقد كان.. فقد ولدت له ليلي بنت عاصم ابنا سماه عمر تيمنا بجده الفاروق وصدق رسول الله ﷺ حين قال:

**تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء و أنكحوا إليهم** . صححه الألباني

والكفاءة المقصودة في الحديث إنما هي في الدين والخلق في الأساس فإذا أضيف إليهم النسب فذلك خير، وإلا فالدين والخلق كافيان. وفي صحيح البخاري، قال ﷺ: تُنكحُ المرأَةُ لأربعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرَبَّتْ يَدَاكَ.



## مولد عمر و نسله

ولد عمر بن عبد العزيز سنة 61 هـ ، وقضى معظم طفولته متنقلا بين مقر إقامة أبيه في مدينة حلوان (تقع جنوب القاهرة حاليا) وبين المدينة المنورة حيث أخواله بني الخطاب، وكان قريبا من عم أمه عبد الله بن عمر، ومحبا له حتى أن عبد العزيز بن مروان لما تولي إمارة مصر وطلب من زوجته ليلي أن تلحق به هناك، أتت عمها عبد الله بن عمر وأعلمته برحيلها، فقال لها: يا ابنة أخي: هو زوجك فالحقي به ولكن اتركي هذا الغلام عندنا - يقصد عمر - فإنه أشبهكم بنا أهل البيت. فتركته عنده وكتبت لزوجها بذلك، فسُرَّ لحسن تصرفها ، ووكل به معلما ورعا ليتولى تربيته وهو صالح بن كيسان، فنشأ عمر بين يدي أخواله أبناء عمر بن الخطاب.

وكان عمر بين الفترة والأخرى يذهب لزيارة والديه بمصر حيث كانت دار الإمارة بحلوان. وفي ذات يوم كان يلعب في اصطبل الخيل فضربه فرس في رأسه فشجه وطار الخبر لأبيه فجاء مسرعا في خوف وهلع فلما رآه والدم فوق وجهه تذكر قول عمر في رؤياه المشهورة عن هذا الأشج الذي يملأ الأرض عدلا فتبدل الخوف والهلع فرحا وسرورا ونظر إليه في عطف وحنو وفخر وقال:

**إن كنت أشج بني أمية إنك إذن لسعيد..**

كانت تربية عمر بالمدينة فريدة في نوعها، فهو من ناحية ابن والي مصر وابن ولي عهد الخلافة، والمال والترف بين يديه، ومن ناحية أخرى هو حفيد عمر بن الخطاب، وأخواله يريدونه مثل جده. فنشأ عمر في ظل هذا الوضع مترفاً منعماً في حياته الشخصية لكنه في نفس الوقت ساعياً للعلم ومقتدياً بمن بقي حوله في المدينة من صحابة رسول الله.

اختار له أبوه صالح بن كيسان ليكون له مربياً، وفي أحد الأيام كانت جارية عمر تمشط له شعره فتأخر عمر قليلاً حتى فاتته الركعة الأولى من صلاة الجماعة، فسأله معلمه عن سبب تأخره فأخبره، فلم يعجبه هذا التصرف، وقال له: بلغ منك حبك تسكين شعرك أن يؤخرك عن الصلاة؟، فأرسل المربي الفاضل إلى أبيه بمصر يخبره بما حدث.. فغضب عبد العزيز بن مروان، فهذا التصرف، وإن كان في ظاهره بسيطاً، وربما يمكن تجاوزه عند الكثيرين، إلا أنه تصرف لا يليق بمن يأمل أن يكون أشج بني أمية.. كيف ستتملأ الأرض عدلاً يا عمر وأنت تضيع حق الله في إجابة ندائه للصلاة؟، ومن فوره أرسل أبوه إليه رسولا وأمره قبل أن يلقي عليه السلام أن يحلق له شعره كله..

ليبقى هذا الدرس في أعماق نفسه: إن حق الله أولي بالقضاء وحق نداء الله أن يجاب في التو واللحظة، ومن يتربى على ذلك من صغره يرجى أن يحفظ حق الله وحقوق العباد في كبره.

## الله يدبر لعمر بن عبد العزيز

كان عبد الملك بن مروان قد عزم على خلع أخيه عبد العزيز من ولاية العهد ليولى ابنه الوليد بن عبد الملك ولاية العهد، ولكن قدر الله كان أسرع فمات عبد العزيز بمصر دون أن يعلم بالمخطط، وأراد عبد الملك أن يعتذر لأخيه بعد موته عن سوء نيته وقصده فضم إليه ولده عمر بن عبد العزيز بدار الخلافة بدمشق.

وكان عمر تقيا ورعا متأثرا بنشأته وتربيته بين أخواله بنى عمر بن الخطاب بالمدينة المنورة، وكان عازفا عن حياة اللهو والمجون ومجالس الغناء، محبا للعلماء، فأحبه عبد الملك وقدمه على كثير من ولده وزوجه ابنته فاطمة بنت عبد الملك..

وكان عمر لا يرتاح إلى شباب الأسرة الحاكمة لكنه كانت بينه وبين سليمان بن عبد الملك مودة صادقة فكان سليمان معجبا بخلق عمر وورعه وخشيته من الله.. وتلك من تدابير الله.. فسليمان هذا سيلي الخلافة بعد ذلك ولا يكون له ولي العهد فيولي عمر بن عبد العزيز.. فكأنه دین أداه ابن عبد الملك لابن عبد العزيز (تذكر أن عبد الملك أراد خلع عبد العزيز من ولاية العهد).. ومقادير يدبرها ربك ﴿بَدِيعُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١٧٧﴾ ﴿١٧٧﴾،  
وذلك لما يريده سبحانه من خير لهذه الأمة..



مات عبد الملك فتولي بعده ابنه الوليد، وكان أول ما فعله أن عزل والي المدينة الذي كان يسيء معاملته أهلها وولي عليها ابن عمه وزوج أخته عمر بن عبد العزيز، فدخلها عمر أميراً وعمره خمس وعشرون سنة.

وكانما أراد الله له اختباراً وتدريباً أخيراً له قبل أن يلي أمر أمة محمد ﷺ، فجمع عمر فقهاء المدينة حوله، وعزم ألا يقضي بأمر دون مشورتهم، وكان يصلي بهم إماماً.

وعاد عمر للمدينة حيث الطهارة والنقاء وبقية الصالحين من صحابة رسول الله ﷺ وصفوة التابعين.. يري أخلاقهم ويتعلم ويصنعه الله على أعينهم فإنه يهياً لأمر جليل. وكان يجالس أنس بن مالك (الصحابي الجليل) فيسمع حديث رسول الله ﷺ منه، ويجالس علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فتعلم منه حب آل البيت وعدم الخوض في علي رضي الله عنه كما كان يفعل بعض الجهلة من بني أمية فامتلاً قلب عمر بحب آل البيت.

مع كل هؤلاء كان عمر يجلس ويتعلم ويتربى ويمتلئ قلبه خشية وإيماناً.. إلا أن الأمور لم تدم على حالها لعمر بالمدينة فقد اشتكاه الحجاج بن يوسف والي العراق إلى الخليفة الوليد وذكر أنه يؤوي المارقين وأهل الشقاق من البلدان عنده بالمدينة، وطلب من الوليد أن يعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة فعزله الوليد.

## عمر مع سليمان بن عبد الملك

ثم مات الوليد، و تولى بعده أخوه سليمان بن عبد الملك. وكان كما قلنا قريبا من عمر، يحبه ويستشيريه. فكان لا يقضي أمرا دون استشارته وبدأ سليمان عهده بإخلاء السجون والإحسان إلى الناس فقالوا: "سليمان مفتاح الخير"، غير أن عمر وهو يخالط سليمان كان لا يعجبه الكثير من تصرفات سليمان، فالخليفة يلبس الثياب الرقاق الموشاة بالنقوش المصنوعة باليمن والكوفة والإسكندرية، و أموال المسلمين تتفق في أبهة الحكم والسلطان دون حساب.

ولما وقف سليمان وعمر بعرفة، جعل سليمان يعجب من كثرة الناس، فقال له عمر:

**• هؤلاء رعيّتك اليوم، وهم خصماؤك يوم القيامة،**

فبكى سليمان وقال: بالله أستعين.

وظل عمر بن عبد العزيز قريبا من سليمان طيلة مدة خلافته، يحوطه بنصحه، فمن ذلك أن سليمان خرج ومعه عمر إلى البوادي، فأصابه سحاب فيه برق ورعد، ففرغ منه سليمان، فقال عمر: «إنما هذا صوت نعمة، فكيف لو سمعت صوت عذاب؟»، فقال سليمان: «خذ هذه المائة ألف درهم وتصدق بها»، وهو يحسب أنه بهذا المال يزيح عن نفسه

هم الخوف من المسائلة أمام الله، فقال عمر: هل لك في عمل أفضل من ذلك يا أمير المؤمنين؟»، قال: وما هو؟، قال عمر:

**اجلس إلى أصحاب المظالم الذين لا يستطيعون أن يصلوا إليك.**

فجلس سليمان فردّ المظالم.

وكان عمر أيضا يأخذ على حكام بني أمية إسراعهم في سفك الدم وقتل المعارضين بغير بينة كافية، أو جرم يستحق القتل، خاصة فيما يخص الخوارج، فكان عمر يري أن يحبسوا حتى يتوبوا، وكان سليمان كغيره ممن سبقوه لا يتهاون مع هؤلاء الخوارج، ويرى قتلهم، فجاء سليمان يوما بأحد هؤلاء الخوارج إلي عمر بن عبد العزيز وأراد أن يُخرج عمر، فقيل للخارجي: ما تقول في أمير المؤمنين سليمان؟ فقال الخارجي: هو فاسق وابن فاسق، فقال سليمان لعمر: ما تقول يا أبا حفص؟.. فسكت عمر. فقال سليمان: أقسمت عليك ما حُكمت فيه؟ فقال عمر:

**أري أن تشتمه كما شتمك، وتشتم أباه كما شتم أباك..**

فقال سليمان ليس إلا؟ فقال عمر: ليس إلا. فلم يرجع سليمان، وأمر بقتل الرجل.

كان عمر يأخذ بمبدأ المساواة المطلقة بين الحاكم والمحكوم وهذا شيء لا يطيقه إلا الحاكم العادل.. شيء نادر لكنه حدث من قبل، ويمكن أن يحدث في المستقبل.

لم يكن لسليمان ولي للعهد، فقد كان عمره 33 سنة وأولاده صغار.. فلما مرض سليمان وأحس أن أجله قد اقترب استشار رجاء بن حيوة وكان وزير صدق للأمويين فقال رجاء:

**إِنَّ مِمَّا يَحْفَظُ الْخَلِيفَةَ فِي قَبْرِهِ أَنْ يُؤَلِّيَ  
عَلَى الْمُسْلِمِينَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ**

وكان هوى رجاء مع عمر بن عبد العزيز فقال سليمان: «كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟»، فقال: «أعلمه والله فاضلاً»، فقال سليمان: «هو كذلك، ولكن، والله لئن وليته ولم أولِ أحداً من ولد عبد الملك لتكونن فتنة ولا يتركونه أبداً. فقال رجاء: فاجعل يزيد بن عبد الملك بعده، فإن ذلك مما يُسكّنهم ويرضون به. فقال سليمان: وَاللَّهِ لَأَعْقِدَنَّ عَقْدًا لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَصِيبٌ فَعَقَدَ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

فلما دفن سليمان نهض الناس لمبايعة عمر وهو في مؤخرة المسجد في ذهول ولم تحمله رجلاه فأخذه وأصعدوه المنبر. صعد عمر المنبر وقال في أول خطبة بعد استخلافه: "أيها الناس، إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي ولا طلب مني، ولا مشورة من المسلمين، وإني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي، فاخhtarوا لأنفسكم." فصاح الناس: «قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك»،

## طراز جديد من الخلفاء

هنا شعر عمر أنه لا مفر له من تحمل مسؤولية الخلافة، فصعد المنبر، وخطب أول خطبة له يحدد فيها منهجه وطريقته في سياسة الأمة المسلمة فكان مما قاله :

**إن هذه الأمة لم تختلف في ربها عز وجل، ولا في نبيها، ولا في كتابها، وإنما اختلفوا في الدينار والدرهم، وإني والله لا أعطي أحداً باطلاً، ولا أمنع أحداً حقاً**

ثم نزل لتبدأ فصول المعجزة التي ستبقي فقط سنتين وعدة أشهر. وبدأت ملامح هذه المعجزة وهذا الطراز الجديد من الخلفاء منذ الساعات الأولى لتوليه الخلافة:

فقد أقبل ركب الخلافة، فرأى عمر خيلاً وبغالاً ولكل دابة سائس، فقال: ما هذا؟ قالوا: موكب الخلافة، يركبها الخليفة أول ما يلي، قال: دابتي أفضل، يا مزاحم (خادم عمر الذي صاحبه طول حكمه) : **يع هذا وضم ثمنه إلي بيت مال المسلمين.**

ولما ركب بغلته جاء - رئيس الشرطة - ليمشي بين يديه هو وثلة من رجاله، واصطفوا عن يمينه وشماله. فالتفت عمر، وقال: ما لي بكم حاجة!! إنما أنا رجل من المسلمين، أغدوا كما يغدون، وأروح كما يروحون.

وصل عمر إلى بيت سليمان فاستقبله أولاده قائلين: هذا لك وهذا لنا؟  
قال: ما هذا وهذا؟ قالوا: ما لبس الخليفة من ثياب ومس من الطيب  
فهو لولده، وما لم يلبس أو يمس فهو للخليفة الجديد، فقال: ما هذا لي  
ولا لسليمان ولا لكم، ولكن يا مزاحم: ضم هذا كله إلي بيت المال.

ومضي عمر إلى دار الخلافة فإذا السراقات قد أقيمت والزينات، فقال  
يا مزاحم: ضم هذا إلي بيت المال، ثم دخل الدار فإذا بعدد كبير من  
الجواري، فسأل كل واحدة عن بلدها ثم أمر بعثهن وردهن لأهلهن.

أما الأموال التي كانت عنده من ميراث أو غيره فقال عنها: يا مزاحم،  
إن هؤلاء أعطونا عطايا والله ما كان لهم أن يعطونا إياها، وما كان  
لنا أن نقبلها، وإن ذلك قد صار إلي وليس علي فيه دون الله محاسب.  
فقال مزاحم وقد أحس بخطورة هذا القرار.. " يا أمير المؤمنين أتدري  
كم ولدك؟.. قال:

## أَكْلَهُمْ إِلِي اللَّهِ ،

وَضَمَّ كُلَّ مَا تَحْتَهُ إِلِي بَيْتِ الْمَالِ !! وتلك أعظم ملامح المعجزة حين  
يبدأ الحاكم بنفسه وبأهل بيته.



علم عمر من اللحظة الأولى لحكمه أن العدل أساس الملك، فكان من أبرز سمات فترة حكمه العدل ورد المظالم؛ جاء رجل من حمص يختصم في حوانيت (دكاكين) له كان الوليد بن عبد الملك قد اغتصبها منه وأعطاهها لابن له يسمى روح بن الوليد، فأمر عمر روح بن الوليد أن يردها بعد أن أثبت الرجل حقه فيها، فقال روح: أنا آتيتك بسجل الوليد. وهو يظن أنه بذلك يثبت حقه في الدكاكين المغصوبة، فقال عمر: أبكتاب الله تأتيني؟، اذهب فرد للرجل حقه، فخرج روح من عند عمر وهو يزمجر ويتوعد الرجل الحمصي، فرجع الرجل لعمر.. فقال: هو والله يتوعدني، فقال عمر لبعض حرسه..

**” أخرج معه، فإن سلم له الحوانيت فذاك، وإلا فأتني**

**برأسه”**

فسمع روح بن الوليد ذلك فانخلع قلبه، وخرج إليه الحارس فقال: رد للرجل الحوانيت فقال نعم نعم.. وأعطاه إياه.

كان عمر يقبل المظلمة بالبينة اليسيرة لما يعرف من ظلم الولاة قبله ولما هو معروف من براعة الظلمة في "ترتيب" الأوراق، ولم يكتف بذلك بل أمر مناديه في كل الأمصار أن من حمل إلينا مظلمة فإننا نتكفل به في سفره وحله وترحاله حتى يرجع إلي أهله !!.

وكان الجميع أمام القاضي سواء، فقد جاء رجل من أهل مصر ينازعه في أرض له ويدعي أن أباه عبد العزيز قد استولي عليها دون مقابل، ولما كانت الأرض لا تخص عمر وحده، بل إن معه أشقائه وأهل المواريث فيها فقد احتكموا للقضاء فقاضى القاضي للمصري فقال عمر: قد أنفقنا عليها كذا وكذا، فنظر القاضي إليه وقال: وقد أخذتم من غلتها بقدر ما أنفقتم عليها، فردوها لأصحابها، فقال عمر في استبشار: بارك الله عليك أيها القاضي. ثم نظر عمر إلى الرجل المصري وقال له: كم أنفقت في مجيئك إليّ؟، قال: يا أمير المؤمنين، تسألني عن نفقتي وأنت قد رددت عليّ أرضي وهي خير من مائة ألف؟، فأجابه عمر: «إنما رددت عليك حَقك»، ثم ما لبث أن أمر له بستين درهماً تعويضاً له عن نفقات سفره.

كما بدأ عمر عهده بعزل الولاة الظلمة، وبدأ بيزيد بن أبي مُسلم والى إفريقية (تونس حالياً)، وَكَانَ والي سوء يخلط الذَّكْرَ وَالتَّسْبِيحَ بتعذيب الناس، فكان يَأْمُرُ بالقوم فيكونون بين يَدَيْهِ يُعَذَّبُونَ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَدَّ يَا غُلَامَ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا - لِبَعْضِ مَوَاضِعِ الْعَذَابِ - وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ شَدَّ يَا غُلَامَ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا، فَكَانَتْ حَالَتُهُ تِلْكَ شَرَّ الْحَالَاتِ، فَكَانَ أول من كتب عمر بن عبد العزيز بعزله فور توليه الخلافة هو هذا الوالى الفاجر. وهؤلاء شر الولاة، فهم يلبسون ثياب التقوى والصلاح ظاهراً، ثم هم في مجال الحق والعدل شر خلق الله وأظلمهم للناس.



## مذهب عمر في التغيير

ورغم كل ما ذكرناه إلا أن المظالم كانت كثيرة، وأموال كثيرة وإقطاعات كانت بيد أمراء بنى أمية من أعطيات الخلفاء السابقين، وغير ذلك من الأمور التي لم يستطع عمر تصحيحها، فدخل ابنه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عليه يوماً، وقال: يا أبت ما لك لا تتفد الأمور؟!، فوالله ما أبالي لو أن القدور قد غَلَّتْ بي وبك في الحق. فأجابه عمر:

**لا تعجل يا بني؛ فإن الله قد ذمَّ الخمر في القرآن مرتين، وحرَّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملةً، فيدفعوه جملةً، ويكون من هذا فتنة.**

وعبد الملك بن عمر بن عبد العزيز من أكثر الناس عوناً لأبيه، وكان على صغر سنه شديد الحماسة، حتى أنه في اليوم الأول لتولى عمر الخلافة وبعد انتهاء المراسم ودفن الخليفة سليمان أراد عمر أن يستريح، فقال له ابنه عبد الملك بن عمر: ماذا تريد أن تفعل؟ قال: أريد أن أستريح، فقال له ولده عبد الملك: وهل تضمن أن تعيش إلى الظهر، فنهض عمر مسرعاً من فراشه.

ثم إن عبد الملك لما لم يُطِقْ منهج والده في التغيير المتدرج دخل عليه ثانية، وقال: يا أمير المؤمنين: ما أنت قائل لربِّك غداً إذا سألك فقال: رأيت بدعةً فلم تُمتِّها، أو سنةً فلم تُخَيِّها؟! فأجابه والده: رحمك الله، وجزاك من ولدٍ خيراً، يا بني؛ إن قومك قد شدوا هذا الأمر (يقصد فساد

الدولة العميقة بالمصطلح الحديث) عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى أردتُ مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا علي فتقاً يكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون عليّ من أن يُراق بسببي محجمة من دم. ثم شرح عمر لابنه الأسلوب الأمثل الذي ارتأه للإصلاح هو التغيير المتدرج، فقال:

**أَوْ مَا تَرْضَى إِلَّا يَأْتِي عَلَى أَبِيكَ يَوْمَ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا إِلَّا وَهُوَ  
يَمِيتُ بَدْعَةً، وَيُحْيِي سُنَّةً.**

وكان عمر يرفض مبدأ الإصلاح بالقوة والبطش رفضاً قاطعاً، فكان يقول: من لم يصلحه إلا الغشم (البطش) فلا أصلحه الله، والله لا أصلح النَّاسَ بِهَلَاكِ دِينِي

وكتب إليه واليه على خراسان يقول: إن أهل خراسان قوم لا يصلحهم إلا السيف والسوط، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك فكتب إليه عمر: أما بعد فقد بلغني كتابك، وتالله لقد كذبتُ،

**بَلْ يَصْلِحُهُمُ الْعَدْلُ وَالْحَقُّ فَاَبْسُطْ ذَلِكَ فِيهِمْ.**

إن الحكم عند أمثال عمر إنما هو حمل ثقيل وأمانة عُرضت على السموات والأرض والجبال ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٦﴾ . وعمر يعلم أن تولى الحكم يمكن أن يؤدي بصاحبه يوم القيامة:

❖ إما أن يكون أول السبعة الذين يُظلمهم الله في ظله يوم القيامة، كما ورد في الحديث: سَبْعَةٌ يُظْلَمُهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله تعالى، ورجُلٌ قلبه مُعلَّقٌ بالمساجِدِ، ورجلانِ تحابَّا في الله: اجتمعَا عليه، وتفرَّقا عليه، ورجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ. متفق عليه

❖ وإما أن يكون من الثلاثة الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ (فقير) مُسْتَكْبِرٌ. رواه مسلم

ويكاد يجمع العلماء على أن عمر بن عبد العزيز هو مجدد الإسلام في القرن الأول؛ لقول النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا. رواه أبو داود، وصححه الألباني. فقد أعاد لمؤسسة الحكم رونقها وصفاءها الذي كان زمن الخلفاء الراشدين الأربعة.

## عمر مع زوجة فاطمة

تزوج عمر كما ذكرنا ابنة عمه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان، وهي التي قال فيها الشاعر:

### بنت الخليفة والخليفة جدّها أخت الخلائف والخليفة زوجها

فقد كان أبوها عبد الملك وجدها مروان بن الحكم خليفتين من خلفاء بني أمية، وقد ولي الخلافة زوجها عمر بن عبد العزيز، ووليتها أربعة من إخوتها وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام. وقد قبل أنه لم يحصل هذا لغيرها من النساء..

❖ فلما ولي عمر الخلافة كان أول شيء فعله أن خيرها بين أن تظل معه على أنه لا فراغ له لها وبين أن تلحق بأهلها... ليس هذا فحسب، بل أمر برد كافة الجواهر والحلي لديها لبيت المال. وكانت فاطمة زوجة عاقلة ذات دين، فشاركته سعيه في تحري الحلال، وأعانتته على ما ابتلى به من أمور الخلافة. يقول ابن عساكر: كان عند فاطمة بنت عبد الملك جوهر، فقال لها عمر: من أين صار هذا إليك؟ قالت: أعطانيه أمير المؤمنين. قال: إما أن تردّيهِ إلى بيت المال، وإما أن تأدّني في فراقك؛ فإنّي أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت. قالت: لا بل أختارُك على أضعافه، لو كان لي؛ فوضعتُه في بيت المال. فلما ولي يزيّد بن عبد

الملك، قال لها: إن شئتِ رَدَدْتُه عليك أو قَيَّمْتُهُ، قالت: لا أريده. طَبْتُ به نفساً في حياته، فأرجع فيه بعد موته؟! لا حاجة لي فيه.

❖ ودخل عمر بن عبد العزيز يوماً على فاطمة امرأته فقال: يا فاطم أين نحن من ليالي دابق!! فذَكَرَهَا ما كانت نَسِيَتْ من أيام عيشهما الرغيد قبل تولى الخلافة، فضربت يده ضربة فيها عُنْفٌ، تُنَجِّيها عنها، وقالت: لَعَمْرِي، لأنَّت اليوم أقدر منك يومئذ. فَحَزَنَ من ذلك، فقام يقول بصوت حزين: يا فاطم، إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم.. فبكت فاطمة، فقالت: اللهم أعذه من النار.

❖ وسئلت فاطمة بنت عبد الملك رَؤِجَةَ عمر بن عبد العزيز كيف كانت عبادة عمر؟ فقالت: وَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً وَلَا أَكْثَرَهُمْ صِيَامًا وَلَا كِنَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَخُوفَ اللَّهِ مِنْ عَمْرِ، لَقَدْ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي فِرَاشِهِ فَيَنْتَقِضُ انْتِقَاضَ الْعَصْفُورِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ حَتَّى نَقُولُ لِيصْبِحَنَّ النَّاسُ وَلَا خَلِيفَةَ لَهُمْ.

❖ ودخلت عليه يوماً في مصلاه، فوجدته يبكي، فقالت: يا أمير المؤمنين، الشيء حدث؟ قال: يا فاطمة إنني تقلدت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعمري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن

خصمي دونهم محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت أن لا تثبت لي حجة عن خصومته، فرحمت نفسي فبكيته.!!!.

وحقا، ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا له من زوجة صالحة، وفاطمة بنت عبد الملك كانت نموذجا فذا لهذه الزوجة التي تجعل هواها تبعا لهوى زوجها، وتعينه فيما ابتلاه الله من أمر هذه الأمة. حتى أنه اشتهي يوما أن يأكل عنبا فلم يجدوا في خزانته مالا فقالت امرأته: أمير المؤمنين وليس يملك أن يشتري عنبا؟ فقال: هذا أهون من عذاب جهنم.

وإن كانت فاطمة أحيانا لا تملك أعصابها ولا لسانها وهي ترى ردود أفعال الناس على ما يقوم به زوجها؛ فقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله قصة المرأة العراقية التي دخلت على فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهي جالسة في بيتها، فرفعت المرأة بصرها فلم تر بالبيت شيئا ذا بال، فقالت: هل جئت لأعمر بيتي من هذا البيت الخرب؟، فقالت فاطمة في غضب: إنما خرب هذا البيت عمارة بيوت أمثالك، ثم أقبل عمر بن عبد العزيز فسأل المرأة عن حاجتها، فقالت: امرأة من أهل العراق لي خمس بنات كُسلٌ كُسد (من ذوى الاحتياجات الخاصة)، فجننتك أبتغي حسن نظرك لهنّ، فجعل يقول: كسل كسد!!، ويبكي، فأخذ الدواة والقرطاس فكتب إلى والي العراق، وفرض لهن جميعا من بيت المال.

### الرحمة:

❖ كان عمر يحمل بين جنبيه قلبا رحيمًا رفيقًا لكل ذي قربي ومسلم، فيروي أن ابنا له خرج يلعب مع الصبيان فشجه طفل في وجهه، وجاءوا بهذا الطفل إلي عمر فإذا امرأة تقول: إنه ابني وإنه يتيم، فقال عمر: هوني عليك.. أله عطاء في الديوان؟ قالت: لا.. قال: فاكتبوه في الذرية. قالت زوجته فاطمة: أتفعل هذا وقد شج ابنك.. قال: ويحكم إنه يتيم وقد أفزعتموه !!.

❖ وكان عمر يشعر أنه ليس فقط مسؤولًا أمام الله عن الناس الذين يحكمهم، بل هو أيضا مسؤول حتى عن الحيوانات في بلاده فكتب عمر بن عبد العزيز إلى صاحب السكك (يشبه وزير النقل حاليا) أن لا يحملوا بعيرا بلجام ثقيل ولا ينخس بعصا في أسفلها حديدًا.

### البطانة الصالحة

❖ لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، كتب إليه طائوس (وكان من كبار التابعين): إن أردت أن يكون عملك خيرًا كله، فاستعمل أهل الخير، فقال عمر: كفى بها موعظة.

❖ على أن عمر لم يكن لينشغل بأمور الدولة عن نفسه وإصلاحها فكانت بطانته من الوعاظ الذين يذكرونه بالآخرة.. قال له زياد

العبدى (أحد العباد) وهو يحاوره: يا أمير المؤمنين أخبرني عن رجل له خصم ألدّ، ما حاله؟ قال: سئ الحال، فإن كان له خصمين ألدّين أو ثلاثة؟ قال: فهو أسوأ حالا... فقال:

## **فوالله يا أمير المؤمنين ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصمك يوم القيامة فأعد لذلك حجتك..**

فبكى عمر حتى تمنى زياد أن لم يكن حدثه.

### **التواضع**

❖ كان عمر أيضا متواضعا لا يري لنفسه فضلا على أحد، ويروي وزيره رجاء بن حيوة أنه كان عنده ليلة فضعف ضوء المصباح فقام رجاء ليصلحه، فقال عمر: أقسمت عليك ألا تفعل وقام عمر بنفسه فأصلحه وقال: ما ضرني؟.. قمتُ وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وأنا عمر بن عبد العزيز، على أنه ليس من المروءة استخدام الضيف !!

❖ وكان يأمر حرسه ألا يبدأوه بالسلام إذا خرج عليهم بل هو الذى يسلم عليهم أولا، وأمرهم ألا يقوموا له.

❖ إن الحاكم الصالح يرى نفسه بشرا مثل كل البشر يمكن لأى أحد أن يصل إليه ويتواصل معه، ولا يرى نفسه في مكانة فوقهم، فهذه فرتونة السّوداء وهى امرأة مصرية مغمورة كتبت إليه كتابا تذكر



فِيهِ أَنْ سُرَّ مِنْهَا قَصِيرٌ ، وَأَنَّهُ يُقْتَمَعُ عَلَيْهَا مِنْهُ فَيُسْرَقُ دَجَاجُهَا .  
 فَكَتَبَ عُمَرُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى فَرْتُونَةَ السُّودَاءِ بَلَّغْنِي كِتَابَكَ وَمَا ذَكَرْتَ مِنْ قَصْرِ  
 حَائِطِكَ وَأَنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَيُسْرَقُ دَجَاجُكَ وَقَدْ كَتَبْتَ لَكَ كِتَابًا  
 إِلَى أَيُّوبَ بْنِ شُرْحَبِيلٍ وَالِي مِصْرَ أَمْرَهُ أَنْ يَبْنِي لَكَ سُورًا وَيُحَصِّنَهُ  
 لَكَ مِمَّا تَخَافِينَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ . وَكَتَبَ إِلَى أَيُّوبَ بْنِ شُرْحَبِيلٍ  
 بِذَلِكَ فَرَكِبَ إِلَيْهَا أَيُّوبٌ حَتَّى أَتَى الْجِيزَةَ يَسْأَلُ عَنْ فَرْتُونَةَ السُّودَاءِ  
 حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا فَإِذَا هِيَ جَارِيَةٌ مَسْكِينَةٌ ، فَأَعْلَمَهَا بِمَا كَتَبَ بِهِ أَمِيرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ فِيهَا وَحَصَّنَ السُّورَ لَهَا .

## الورع:

❖ وبلغه أن واحدا من أبنائه اتخذ خاتما واشترى له فصا بألف درهم  
 فكتب إليه: "أما بعد فقد بلغني أنك اشتريت فصا بألف درهم، فبعه  
 وأشبع به ألف جائع، واتخذ خاتما من حديد واكتب عليه: رحم الله  
 امرأ عرف قدر نفسه."

❖ ودخلت عليه جاريته يوما فقالت: "رأيتك الليلة في المنام يا أمير  
 المؤمنين"، قال: وما رأيت؟ قالت: "رأيت كأن القيامة قد قامت  
 والصراط منصوب فوق جهنم.... " فخر عمر مغشيا عليه قبل  
 أن تكمل الجارية كلامها، فصرخت الجارية:

**"رأيتك والله قد نجوت.. رأيتك والله قد نجوت."**

كان عصر عمر هو أكثر العهود التي دخل الناس في الإسلام فيها أفواجا، وللأسف كان بعض الولاة في عهد عمر من حماقة بحيث لا يدركون مقاصد هذا الدين، فمن هؤلاء الحمقى والى مصر الذى كتب إلى عمر بن عبد العزيز يقول: أما بعد: فإن كثرة دخول القبط في الإسلام قد أضر بالجزية، ونقصت موارد بيت المال حتى سلفت من بعض الأثرياء عشرين ألف ديناراً، فإن رأى أمير المؤمنين أن نستمر في أخذ الجزية ممن أسلم من أهل الذمة حتى لا يتضرر بيت المال. فكتب إليه عمر: أما بعد: فقد بلغني كتابك، وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطاً، فضع الجزية عن من أسلم، قبّح الله رأيك، فإن الله إنما بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً (جامعا للمال).

وقد يظن البعض أن الوضع المالى بسبب ذلك كان عسيرا على الناس في أيامه، والواقع أن عمر كان يشدد على نفسه فقط، أما عموم الناس فقد اغتنوا وبارك الله في أرزاقهم، حتى كان منادي عمر يقول: أين الغارمون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ فيعطهم من بيت مال المسلمين حتى لم يجدوا مصرفا لزكاة المال في عهده فأمر أن يزوج بهذا المال من لا يستطيع الزواج، ولما لم يجد اشتري رقابا، فأعتقها وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾.

## نهاية الحكاية

لما حضرته الوفاة جاءه ابن عمه مسلمة بن عبد الملك وكان أقرب أولاد عمه إليه، فقال: ألا توصي لبنيك بشيء فإنهم والله فقراء، فجمع عمر أبناءه، وقال: يا بني إن أباكم خَيْر بين أمرين: إما أن تستغنوا ويدخل النار أو تفتقروا ويدخل الجنة فاختر الجنة وآثر أن يترككم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، ولما رَأَهُمْ تَرَقَّرَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ: بنفسي فتية تركتكم عالة لا شيء لهم وبكى ثم قال:

**يَا بَنِي إِنْ قَدْ تَرَكْتُ لَكُمْ خَيْرًا كَثِيرًا ؛ لَا تَمْرُونَ بِأَحَدٍ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ ذِمَّتِهِمْ إِلَّا رَأَوْا لَكُمْ حَقًّا .**

وأغضض عينه وهو يقول: إلهي أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهينني فعصيت، ولكن لا إله إلا أنت. وقيل إن آخر كلام عمر بن عبد العزيز أنه تلا قول الله تعالى:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ

وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾



## كلمة أخيرة

عمر بن عبد العزيز يمثل نموذجا للحاكم المصلح في بيئة فاسدة، وهو حجة على من يدعى صعوبة الإصلاح إذا تعمق الفساد.

لكنه لم ينجح في ذلك بشعارات براقة وخطب رنانة بل بخطط، وعلم، وتدرج في الإصلاح، وحسن اختيار اللبانة المحيطة به وحسن اختيار اللوالة في الأقاليم المختلفة، وقبل كل ذلك وعى بقيمة العدل والحرية والمساواة في بناء الدول.

وكان في سيرته وهو صغير مثالا للغرس الصالح في بيت تجمعت في بنائه كل معالم الاختيار السليم لبناء أسرة مسلمة، ومن ثم ظهر في تربيته أثر التعليم الجيد والتربية الصالحة.

وكان في سنوات حكمه القليلة نموذجا للحاكم الواعي بما يُصلح الناس بعيدا عن المظاهر المزيفة، وفي نفس الوقت كان نموذجا للحاكم المشفق على رعيته، الخائف من سؤال ربه.



## هذه الكتيبات

هذه المحاولة في تلخيص تاريخ الشخصيات المميزة عبر تاريخنا الإسلامي أخذت منى سنين طويلة حتى أصل إلى هذه النتيجة.

ومن وجهة نظرى تتميز هذه الكتيبات بما يلى:

- 1- جميع الأحاديث النبوية الواردة فى الكتيبات تم تخريجها للتأكد من صحتها. مع تجنب ذكر أي رواية غير موثقة.
- 2- التركيز فقط على الجوانب الإيمانية والخلقية في الشخصية.
- 3- التعليقات فى الحدود الدنيا، منعا للتطويل لكنى أضفت كلمة أخيرة في نهاية معظم الشخصيات للحديث عن أبرز سمة.
- 4- اللغة السهلة في الكتابة لتتناسب عموم الناس.
- 5- الحجم الصغير بحيث لا يستغرق قراءته أكثر من 20 دقيقة.

في النهاية أؤكد على أنى لست عالم دين، ولكنى مسلم عادى يحاول خدمة دينه بعرض هذه النماذج من تاريخنا بالصورة اللائقة دون تزويق أو تزوير، بهدف الاقتداء المستتير بهذه الشخصيات.

جميع الكتيبات تجدها في موقعى [www.drgilany.com](http://www.drgilany.com)

هذه الكتيبات وقف لله تعالى على روح والدتى رحمها الله.